الصراع الرئيسة، تل ـ أبيب وواشنطن وموسكو. ففي اسرائيل، وجدت الحكومة الجديدة، برئاسة اسحق شامير، نفسها مراقبة ومحاطة بسلسلة من الضغوط الداخلية المحدودة، والخارجية المتفاقمة. وهي ضغوط لم تقتصر على الموقف التقليدي، الموحّد الى حدّ كبير للكتلة الاشتراكية تجاه اسرائيل، وذي التأثير المحدود في أزمة المنطقة، على الأقل في الظروف الراهنة، بل تعدّت ذلك الى أوروبا الغربية، ودخلت قاعات البيت الأبيض، الذي لم يعد قادراً على تجاهل الرياح الدولية. فقط اضطرت واشنطن الى فتح حوار مباشر مع م.ت.ف. زاد في عزلة اسرائيل، وأحدث هزّة، ليست بالقليلة، في الارض السياسية التي تقف عليها حكومة شامير. أما موسكو، المحطة الثالثة، والحارس الآخر على بوابة الانفراج الدولي، فقد سارعت، من جانبها، الى الاستفادة من التطورات الجارية نحو ايجاد موطىء قدم، ومكان لائق لها حول طاولة المفاوضات السلمية حول الشرق الاوسط. ولتحقيق تقدّم ملموس في هذا الاتجاه، أبدت العاصمة السوفياتية استعداداً ملحوظاً للتجاوب مع بعض المطالب الاميركية والاسرائيلية المعروضة؛ من بينها التخفيف من شروط وصيغة المؤتمر الدولي للسلام حول الشرق الاوسط، واعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل، في حال أقرّت، الأخيرة، بدور السوفيات في المؤتمر الدولي، وأفسحت في المجال لمشاركتهم فيه بفعالية.

فالى أي مدى غابت طروحات ما قبل اعلان الاستقلال الفلسطيني، وبضمنها الانتخابات ومشتقاتها واستهدافاتها ؟ ولماذا عادت بعد شهور قليلة، في أعقاب دورة سياسية واسعة، بدا اقترابها من هذه المسائل بعيداً ومستبعداً ؟

استكشاف الخطوة خطوة

انطلاقاً من المحطات هذه، بدأت أطراف النزاع الرئيسة الثلاثة، الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل وم.ت.ف. مرحلة استكشاف للتعرّف على حدود المتغيرات في موقف كل منها، وامكانات التأثير فيه. فتميزت سياسة واشنطن، ما بعد مرحلة الحوار الاميركي ـ الفلسطيني، بمحاولات جسّ نبض واختبار لمواقف كل من م.ت.ف. واسرائيل، وبالطريقة التي تتفق وطبيعة العلاقة بين واشنطن وكل من الطرفين المذكورين. ففي تحديدها لمستقبل علاقتها بالمنظمة، سعت واشنطن الى التثبّت، والتحقق، من مصداقية الطروحات السلمية الفلسطينية، ومدى عمق التغيّرات السياسة المستجدة لديها، وهي جدية الاعتراف بالقرارين ٢٤٢ و٣٣٨، وجديّة الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود، ومدى التزام المنظمة بعدم القيام بما أسمته واشنطن عمليات «ارهابية»؛ أما تجاه اسرائيل، فتعمل واشنطن لمعرفة المدى الذي سوف تذهب اليه اسرائيل في اقرارها واعترافها بالمتغيرات الدولية، واستعدادها لتقديم تنازلات موازية، وحدود الضغط الاميركي اللازم لتحقيق الدرجة المطلوبة، أو التنازل المحتمل من جانب اسرائيل، والذي يمكّنها، في نهاية الامر، من القيام بعملية توفيق بين الطرفين، بعد ان تكون قد حقّقت درجة التقارب المطلوبة في وجهات نظرهما.

من جانبها، لم تقف الحكومة الاسرائيلية مكتوفة اليدين تجاه التطوّرات الجارية، وكذلك حيال العملية الاستكشافية الاميركية، فأطلقت سلسلة «مبادرات» سياسية غير مكتملة، بهدف القيام بعملية مضادة لعملية واشنطن، تستهدف، من جانبها، التعرّف على حدود التقبّل الاميركي لهذا النوع من المبادرات، ومستوى التعديل المطلوب للحصول على رضا الحليف الاميركي؛ كذلك لتفادي الالتزام بخطة سياسية محدّدة تتحول الى برنامج عمل محسوب على الحكومة، واستبدال ذلك، كله، بسياسة ترك الاطراف الاخرى تمارس الترقّب، وانتظار ما يمكن ان تصدره تل ـ أبيب، قطرة، قطرة.